تحت شعار

البحث العلمي ركيزة التنمية المستدامة في العصر الرقمي

المؤتمر الدولي الرابع للبحث العلمي ٢٠١٥

لمركز البحوث والاستشارات الاجتماعية - لندن

ومركز الاحتواء الاجتماعي - قطر

حول مجالات العلوم المختلفة

من ١٥ - ١٧ مارس ٢٠١٥ دولة قطر - الدوحة

المؤسسة العامة للحي الثقافي (كتارا)

(أبحاث محكمة)

المؤتمر الدولي الرابع للبحث العلمي ٢٠١٥

حول مجالات العلوم المختلفة

(أبحـــاث مُحكـمـــة)

S.C.R. London is an organization that deals with social issues in the communities, our services are mainly to rise awareness regarding the problems at hand, this goes from as small as on personal level, Businesses to Government services.

The services we provide are:

- Mental Health Care on the personal level, and as a group.
- We provide Training for employees in all sectors of all ranks.
- Some of the programs we provide are: stress constancy, problem solving skills, client approach, care after burnout …
- Our consultancy leads to Research and a solution as a result.

We also organize International Academic Conferences around the globe. To bring together the researchers that can brainstorm and search for solutions regarding issues at hand.

Social Consultancy & Research LTD.

London, United Kingdom

Http://*scrlondon.com*

Emails: *info@scrlondon.com*

Dr. Naser Elfadhly

Clinical Psychologist Diagnostic Assessment & Treatment

- Stress Management, Social Phobia, Agoraphobia & Panic Attacks Depression, Obsessive Compulsive Disoder, Seual Dyfunction, Eating Disorders.
- Anorexia-Dulimia, Psychosomatic Lilnesses, Schizophrenia, Family Problems.
- Marital Problems, Sleep Disorder, Anxeity, Post-Traumatic Street Disorder.
- Alcohol And Drug Dependance, Disorders Evident In Childhood.

Emails: *Info@scrlondon.com* - *elfadhly@scrlondon.com*

تحت شعار

البحث العلمي ركيزة التنمية المستدامة في العصر الرقمي

المؤتمر الدولي الرابع للبحث العلمي ٢٠١٥

لمركز البحوث والاستشارات الاجتماعية (لندن)

ومركز الاحتواء الاجتماعي (قطر)

حول مجالات العلوم المختلفة

(أبحـــاث مُحكـمـــة)

15 - 16 - 17 مارس 2015

دولة قطر- الدوحة؛ المؤسسة العامة للحي الثقافي (كتارا)

أبحاث اجتماعية

أبحاث إنسانية

أبحاث إسلامية وقانون

أبحاث تعليمية

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2015/3/1026)

Social consultancy & Research LTD
ISBN: 978- 9957- 481 - 43 - 8 **(ردمك)**

SCR LONDON
Social Consultancy & Research London

SCR LONDON
Social Consultancy & Research London

دور الأخلاق البيئية في بناء مستقبل المجتمعات المتمدنة

The Role of Environmental Ethics in building the Future of Civilized Societies

أ.د. عبد الجليل كاظم الوالي•

يعدّ مفهوم البيئة واحد من المفاهيم الأخلاقية التي ناقشها مفكري اليونان منذ القدم؛ إذ أن أفلاطون 347-427 ق. م في كتابه القوانين[1]، طالب كل من يحدث تغييراً في البيئة عليه أن يصلح ما خربه، فمن يلوث الماء، عليه أن يصلح البئر ويعوض الناس أضرارهم.

والدارس لفلسفة أرسطو (322-348 ق.م) يدرك بأنه قد قسم المفاهيم الفلسفية حسب موضوعاتها، فهناك المفاهيم المنطقية كالجوهر والعرض، والمفاهيم الأخلاقية كالفضيلة والرذيلة، والمفاهيم الطبيعية ومن بينها الطبيعة والكون والفساد والبيئة، وعليه فإن مفهوم البيئة قد ورد ضمن المفاهيم الطبيعية[2]، ووفقاً لذلك فقد قسم أرسطو طبائع المجتمعات البشرية على ضوء البيئات التي يحيون فيها، إذ ذكر بأن سكان المناطق الباردة يتميزون بالجرأة والشجاعة ولكن تنقصهم الخبرة، بينما سكان سهول آسيا فإنهم أكثر خبرة ومهارة ولكنهم أقل شجاعة، وأما اليونان فهم أمة وسط جمعوا بين مميزات المجموعات الأوروبية والآسيوية.

•كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، العين، جامعة الإمارات/العراق.
jalilwali@hotmail.com.

أما الأخلاق البيئية فهي فرع جديد ومعاصر، وله مقولاته الخاصة التي تميّزه عن باقي الفروع الاجتماعية الأخرى، وتعد وحدة المصير واحدة من مقولاته الأساسية، وتعني بأن كل الموجودات الطبيعية تشكل وحدة وجود واحدة، وعلى الرغم من أن لكل منها قوانينه الخاصة، إلا أنها تتأثر بعضها بالبعض الآخر، وخير دليل على ذلك ما يصيب الحيوانات والطيور والنباتات من أمراض فإنها تنتقل إلى الإنسان مباشرة أو إلى الكائنات الأخرى. وعلى الإنسان باعتباره الكائن العاقل في هذا الكون أن يدرك أهمية هذه الموجودات ودورها في الحفاظ على التوازن الطبيعي، ومن هنا تنشأ الأخلاق البيئية.

فضلاً عن ذلك فإن الأخلاق البيئة تؤكد بأن الإنسان في أي مكان وجد من هذا العالم لا بد أن تكون نظرته بأن العالم الحالي هو عالمي تضامني، تحكمه المسؤولية البيئية المشتركة، ووحدة المصير.

والأخلاق البيئية هي واحدة من المقومات التي تقاس فيها ثقافات الشعوب ودرجة تمدنهم، فالمدنية ليست فقط أن تحصل على درجة عليا في فرع من فروع المعرفة، بل إنها تعني أن تسلك سلوكاً حضارياً راقياً، ومن بين مفردات هذا السلوك الراقي، أن تحترم البيئة التي تحيا فيها سواء أكانت هذه البيئة البيت، أو مكان العمل، أو المحلة، أو المدينة، أو البلد أو البلدان التي تعيش فيها أو تزورها.

ومن أخلاق البيئة ما تتخذه حكومات الدول من قرارات تؤمن الحماية والحفاظ على البيئة، وكيفية استغلال الموارد الطبيعية، فضلاً عن ذلك ما هي مساحة وحجم تطبيق هذه القرارات، وهنا تدخل الثقافة كعنصر في تطبيق الأخلاق البيئة، فكلما وجدت شعباً مثقفاً كلما وجدت بيئة نظيفة، فالبيئة النظيفة هي دليل على رقي وتمدن الشعوب.

في ورقتي البحثية هذه ناقشت جملة هذه العوامل فضلاً عن المدارس الفكرية التي فسرت العلاقة بين البيئة والمجتمع كالمدرسة الحتمية والمدرسة التوافقية أو الاجتماعية والمدرسة التفاعلية، حتى أصل من خلالها إلى تحديد استنتاجات تتعلق بدور وأهمية الأخلاق البيئية في تغيير مناحي حياة المجتمعات المتمدنة.

SCR LONDON
تحت شعار البحث العلمي ركيزة التنمية المستدامة في العصر الرقمي
Social Consultancy & Research London

البيئة كمفهوم معرفي

لفظة البيئة تعود في الأصل إلى الإيكولوجيا في لغة اليونان، بمعنى مكان العيش، والإيكولوجيا Ecology تعني علم إدارة شؤون البيئة، أي العلم الذي يدرس القوانين الطبيعية التي تنظم الوجود والتي تحدد العلاقات بين الكائنات الحية والمحيط الطبيعي المناسب لعيشها بأفضل الشروط. وأطلق فردريك هيجل 1869 هذه التسمية ليشير إلى العلاقات المتبادلة بين الأحياء كالنباتات والحيوانات التي تعيش معاً في بيئة طبيعية معينة.[3]

والبيئة كما جاء في إعلان مؤتمر ستوكهلم للبيئة البشرية عام 1972، هي كل شيء يحيط بالإنسان.

أما علم البيئة فيتناول تطبيقات معلوماتية في مجالات معرفية مختلفة في دراسة السيطرة على البيئة، أي أنه العلم الذي يهتم بوقاية المجتمعات من التأثيرات الضارة، والحفاظ على البيئة محلياً وعالمياً من الأنشطة البشرية ذات التأثير الضار وبتحسين نوعية البيئة لتُناسب حياة الإنسان[4].

ويرتبط مفهوم البيئة من الناحية المعرفية بالشعور والوجدان، وعليه فهو يركز على تنمية الشعور الجمالي والذي تفتقده أغلب مناهج التربية في بلدان العالم الثالث في الوقت الحاضر، إذ إن أغلب المناهج في بلدان العالم الثالث تركز على تنمية قدرات الإنسان في الحفظ والتلقين أكثر من تذوق الجمال.

لذا فلم يعد هناك فضاء في خططنا الدراسية يهتم بتربية تلاميذنا على تذوق الجمال، وأصبح تذوق قصيدة شعر أو معزوفة موسيقية، أو زيارة متحف أو معرض فني، ما هي إلا مسائل شخصية وذاتية ولا تدخل ضمن الخطط والبرامج الدراسية لجامعاتنا ومؤسساتنا التربوية.

في الوقت الذي تفرض فيه دراسة البيئة التركيز على التربية الوجدانية، وإن هذه التربية مرتبطة بالتربية الفكرية، وإن ضحالة التفكير تؤدي إلى جفاف العاطفة، ويقيّم الفيلسوف الألماني **هارتمان** الإنسان المعاصر «بأنه أصبح كائنا متلبداً لا شيء يدهشه، ولا شيء يحرك شغاف قلبه، ولاشيء يستثير حياته الباطنية»[5] وسبب ذلك يعود إلى اهتمام الإنسان المعاصر بالمادة أكثر من الفكر.

مركز الاحتواء الاجتماعي للاستشارات
Social Containment Consulting Center

يقول كاسيرر «إذا كان من شأن العلم أن يخلع على أفكارنا ضرباً من النظام، كما أن من شأن الأخلاق أن تضفي على أفعالنا ضرباً من التنظيم، فإن من شأن الفن أن يخلع ضرباً من النظام على إدراكنا للمظاهر المرئية والملموسة والمسموعة»[6] لذا فلا بد أن يساهم العلم والأخلاق والجمال في إضفاء النظام على مجتمعاتنا المعاصرة.

وفي خضم هذا العالم المعاصر المنهمك بالمادة تظهر بين الحين والآخر اتجاهات فنية جمالية مبدعة، ومن بينها الفن الانطباعي الذي يدرس ألوان الأشياء، ويعدّ ألوان الموجودات المادية متغيرة متبدلة نتيجة لتأثير البيئة عليها.

تلبد الجو بالغيوم وتباين عدد ساعات ظهور الشمس، وتفاوت نسبة الأمطار الساقطة على مناطق العالم جميعها تؤثر على ألوان الأشياء، فعلى سبيل المثال، كلما كانت كمية الأمطار غزيرة والشمس غير مؤثرة تكون ألوان الأشياء مناسبة لهذا الطقس ومغايرة تماماً لألوان الأشياء في المناطق ذات الأمطار الشحيحة مع شمس ساطعة لساعات طويلة من النهار، أو حتى في المنطقة الواحدة بعينها فإن كان الجو صحواً لأيام معدودة من أشهر السنة وملبداً بالغيوم في الأيام المتبقية فهذا الآخر يؤثر على ألوان الأشياء.

لذا فإن هؤلاء الفنانين الانطباعيين اكتشفوا سر تغيّر وتبدل ألوان الأشياء في كونه يعود إلى تأثير البيئة المباشر على أشياء العالم الخارجي، ورسموا لوحاتهم بألوان تتناسب مع طبيعة اللوحة وليس مع أشياء العالم الخارجي، لأن ألوان العالم الخارجي متغيرة.

وإن كان هذا الاكتشاف الفني منطقياً وصحيحاً، فلماذا لا نوسع دراساتنا ونهتم ببيئتنا ذات التأثير المباشر على جملة أشيائنا بما فيها ألواننا وأشكالنا بل وحتى لغتنا؛ إذ أن للبيئة تاثيراً فعالاً ومباشراً على اللغة، ويعود سبب اختلاف اللغات واللهجات بين الناس إلى اقتصار اتصالهم مع أبناء مجتمعهم ضمن حدود جغرافيتهم دون توسع اتصالهم بالمجتمعات الأخرى. وعليه فإن البيئة تلعب دوراً كبيراً في تكوين اللهجة أو اللغة من خلال البعد الاجتماعي، وكلما تخطى المجتمع دائرة اتصاله الضيقة والمحلية كلما استطاع أن يبلور لغة ذات مفاهيم عالمية مقبولة في المجتمعات الأخرى، وهنا تلعب البيئة دوراً فاعلاً في تكوين اللغة العالمية عبر التوسع في الاتصال بين المجتمعات المتباعدة جغرافيا.

SCR LONDON
تحت شعار البحث العلمي ركيزة التنمية المستدامة في العصر الرقمي
Social Consultancy & Research London

العلاقة بين البيئة والمجتمع

لقد فسر الفلاسفة والمفكرين طبيعة العلاقة بين البيئة والمجتمع من خلال الكيفية التي تنعكس فيها الظروف البيئية على الحياة الإنسانية سواء من الناحية البيولوجية، أي شكل أو قوام أجسام البشر أو من ناحية تأثيرها على سلوك الإنسان وتغير مزاجه أو طبائعه.

فمثلاً هيبوقراط 420 ق.م، درس العلاقة بين بنية الجسم والبيئة، ولاحظ بأن سكان الجبال ذو قامة طويلة وبنية قوية ويتسمون بالشجاعة، عكسهم تماماً سكان السهول الجافة وشبه الجافة، فإنهم قصار القامة وأكثر خبرة ومهارة، ولكنهم أقل شجاعة وقد تبنى أرسطو هذه الفكرة، إذ بينت رأي أرسطو في مقدمة البحث.

وقد هاجم فرنسيس بيكون 1600، في العصر الحديث مثالية اليونان، وكان يرى بأنه على الإنسان استخدام معرفته للسيطرة على الطبيعة وتسخيرها لخدمته ومنفعته، ومن هذا المنطلق ظهرت فكرة السيطرة على الطبيعة.

وقد تعددت المدارس الفكرية التي فسرت العلاقة بين المجتمع والبيئة، ويمكن أن نقسمها إلى الأقسام التالية:

1. **المدرسة الحتمية** Determinism: تمنح هذه المدرسة أهمية للبيئة أكثر من الإنسان، وتَعدّ الإنسان مسيّر وليس مخيّر، لذلك عليه أن يتكيف مع البيئة، ومن رواد هذه المدرسة هيبوقراط وأرسطو؛ إذ ربطا بين المناخ وطبائع الشعوب.

2. **المدرسة الإمكانية** Possibility: تؤمن هذه المدرسة بأن الإنسان هو قوة مؤثرة بالبيئة التي يحيا فيها فهو ليس سلبي بل فاعل، وهو في نفس الوقت ليس مسيّر بل مخيّر، ويعتقد مفكري هذه المدرسة بأن البيئة تعطي للإنسان خيارات وهو الذي يختار ما يراه مناسباً منها.

3. **المدرسة التوافقية أو الاحتمالية** Probability: تجمع بين آراء تلك المدرستين، فهي تؤمن بأنه في بعض البيئات يتعاظم دور الإنسان، بينما في بيئات أخرى يقل دوره، لذا فهي مدرسة واقعية تصور واقع حال الإنسان، ويمثل هذه المدرسة أرنولد توينبي، وقد حدد أربع استجابات للعلاقة بين الإنسان والبيئة هي:

- **استجابة سلبية**، هنا لا يستطيع الإنسان أن يطوع بيئته وهو عاجز أمامها، لذا فإنه يعمل بحرفتي الجمع والصيد.

مركز الاحتواء الاجتماعي للاستشارات
Social Containment Consulting Center

- **استجابة تأقلم**، لدى الإنسان بعض المعرفة التي حاول استغلالها ليتأقلم مع البيئة، لذا عمل بالرعي وتربية الحيوان والزراعة البدائية.
- **استجابة إيجابية**، يحاول الإنسان هنا أن يتغلب على صعوبات البيئة لأنها لا تلبي احتياجاته، لذا عمل في الزراعة غير البدائية والرعي المتطور والصيد المتطور.
- **استجابة إبداعية**، لا يكتفي الإنسان هنا فقط بالتأقلم بل يبتكر ويبدع، ويتمثل ذلك في حرفة الصناعة، فهي إبداع وابتكار بشري.

4. **مدرسة التفاعل** Interaction: يرى أصحاب هذه المدرسة بأن هناك تأثير متبادل بين البيئة وبين مكوناتها، فالكائن الحي يتأثر بكل ما يحيط به من عوامل البيئة من حرارة وطاقة، كذلك البيئة هي الأخرى تتأثر بالإنسان من خلال أنشطته المختلفة، وتعقد هذه النظرية صلة بين البيئة والصحة، وتدرس عدد من المتغيرات كالتعليم والثقافة والممارسات اليومية والعادات السلوكية وكيف يحدث التأثير والتأثر بين الإنسان والبيئة من خلال هذه المتغيرات.[7]

الأخلاق البيئية

إنّ هدف الأخلاق البيئية هو السموّ بالعلاقة بين الإنسان والبيئة إلى أعلى غايتها بحيث تتحقق قدسية الحياة التي تعني في نفس الوقت قدسية البيئة.

إنّ الأخلاق البيئية تعيد النظر في المقولة التي اعتدنا تكرارها وهي أن الإنسان هو السيد والسلطان الذي يتمتع بكل الصلاحيات لاستغلال الموجودات الأخرى. ويصبح الإنسان وفقاً للأخلاق البيئية مكوناً مهماً من مكونات الطبيعة لكن ليس سيد الكون.

وعلى الإنسان أن لا يتخلى عن إنسانيته، بل عليه أن يتمسك دائماً في كونه إنساناً عالمياً، مثلما كان يعتقد الكثير من المفكرين على أنهم مواطنين عالمين مثل أبيقور، الذي رفض أن تمنح له الجنسية أو المواطنة الأثينية، وقال بأنه مواطناً عالمياً. لذا فنظرة الحركة البيئية الآن، بأن الإنسان في أي مكان وجد في هذا العالم لا بد أن تكون نظرته بأن العالم الحالي هو عالمي تضامني تحكمه المسؤولية البيئية المشتركة ووحدة المصير.

SCR LONDON
تحت شعار البحث العلمي ركيزة التنمية المستدامة في العصر الرقمي
Social Consultancy & Research London

ووفقاً لهذا السلوك الحضاري تقيّم أخلاق المرء البيئية، مثلما تقيّم في استدامة الموارد البيئية، وكون هذه الموارد ليست حكراً على فئة معينة من الناس، ولا حكراً على جيل بعينه، بل ملكاً لجميع الأجيال، فمثلما أخذ الجيل السابق نصيبه منها، والجيل الحالي يتمتع بهذه الموارد البيئية، كذلك الحال فالجيل اللاحق له نصيب من هذه الموارد، وعليه فإن سلوك الأفراد والحكومات في مثل هذا النوع من التصرف يقيّم ضمن أخلاق البيئة.

أيضاً لم نتناسى حجم المؤسسات الحكومية وغير الحكومية، ونوعيتها، وبرامج عملها، ومدى تأثيرها على المجتمع، ومقدار إنجازاتها، حيث أنّ هذه المؤسسات هي الأخرى واحدة من المقاييس التي تقاس بها الأخلاق البيئية لدولة أو مجتمع ما.

لكن ما هي هذه الموارد البيئية التي لا بد من مراعاتها عند التحدث عن الأخلاق البيئية؟

تصنف الموارد البيئية على صنفين، الموارد غير القابلة للنفاذ، والموارد التي من الممكن أن تنفذ.

الموارد غير القابلة للنفاذ تقسم إلى:

- **موارد أبدية:** الطاقة الشمسية، الرياح، الأمطار، طاقة المد والجزر.
- **موارد يمكن أن تنقص إذا لم تستعمل برشد:** الهواء، مياه المحيطات والبحيرات والأنهار، طاقة التيارات المائية، الريف والأرض بالمفهوم الواسع.

الموارد التي يمكن أن تستنفذ تقسم إلى:

- **الموارد التي يمكن الحفاظ عليها:** موارد قابلة للتجديد، كالماء والتربة ومنتجات الأرض (المنتجات الزراعية، الغابات، أراضي الحشائش، الحيوانات البرية)
- **منتجات غير قابلة للتجديد أو التعويض:** فصائل الحيوانات البرية، الطبيعة البكر.

موارد لا يمكن الحفاظ عليها تقسم إلى:

- موارد قابلة للاستعمال ثانية، الأحجار الكريمة، المعادن
- الموارد التي لا يمكن إعادة استعمالها، موارد الوقود، معظم الأملاح اللامعدنية، الاستغلال الكلي للمعادن يستنفذ الاحتياطي.[8]

مركز الاحتواء الاجتماعي للاستشارات
Social Containment Consulting Center

إنّ الإعلام والمؤسسات الثقافية هي الأخرى تلعب دوراً أساسياً في بناء الأخلاق البيئية، فالتوعية عبر وسائل الإعلام أو بواسطة البرامج الثقافية، أو في المؤسسات التعليمية، تبلور وعي في أخلاق البيئة، وفي أوروبا لديهم دليل للشركات التي تنتج معدات لمكافحة التلوث.[9]

المشكلات البيئية المعاصرة

- التغيرات في الغلاف الجوي، وتلوث الهواء، والأمطار الحمضية، والتأثير على طبقة الأوزون، واحتمالات تغير المناخ.

- مصادر المياه العذبة ونوعيتها، والآثار الصحية لتلوث المياه، وتلوث البيئة البحرية، وتدهور التربة، والتنوع البيولوجي، والأنشطة الإنمائية وأثرها على البيئة، الزراعة وإنتاج الغذاء، والصناعة، وإنتاج الطاقة واستخدامها، والنقل والسياحة.

- العلاقات المتشابكة، البيئة والتنمية، السكان والمستوطنات البشرية، التطورات العلمية والتكنولوجية.

- أنواع التلوث، تلوث التربة، والتصحر، والتلوث المائي، والتلوث الهوائي/ الجوي، والتلوث الضوضائي، ومشكلة الطاقة، والتلوث الإشعاعي، وتآكل طبقة الأوزون.

وقد اختلفت وجهات نظر المفكرين للمشكلات البيئية، وكلٌ نظرَ إليها من زاويته الخاصة، فمثلاً يعتقد بعض من العلماء على أن الانفجار السكاني واحد من الكوارث البيئية التي يتعرض لها العالم المعاصر، ويتوقع العلماء بأنه سيتعرض العالم لمجاعات يموت بسببها الملايين من البشر، وأن المشكلة الرئيسة التي يسببها الانفجار السكاني تكمن في نقص الغذاء، وقد اعتمد هؤلاء على وجهة نظر مالثوس والمفكريين الاقتصاديين الكلاسيكيين، الذين كانوا يعتقدون بمحدودية الإنتاج الغذائي للأرض مقارنة بالتطور السكاني المتسارع، فالغذاء يتزايد بمتوالية عددية، بينما السكان يتزايد بمتوالية هندسية.

واستمر هذا الاتجاه في الوقت الحاضر، وقد رأى أصحابه بأنه لا تقتصر محدودية المصادر على إنتاج الأرض الزراعية للغذاء فقط بل تشمل الوقود الإحفوري بما فيه النفط والفحم والغاز الطبيعي ومحدودية النظام العالمي لدعم الحياة الإنسانية.[10] وتنعكس مشكلة الانفجار السكاني على مكونات البيئة الطبيعية ليحدث أزمة في الطاقة وزحام في المستوطنات البشرية، وتلوث في الماء والهواء والتربة، ونقص في الثروات المعدنية، ونقص في الماء العذب، ونقص في الموارد المتجددة من غابات ومراعي وأحياء برية ومائية ومشكلات سياسية واجتماعية.

SCR LONDON
تحت شعار البحث العلمي ركيزة التنمية المستدامة في العصر الرقمي
Social Consultancy & Research London

فإذا لم يبادر الإنسان إلى معالجة هذه المشكلة السكانية، ربما البيئة هي التي تعالجها بالطريقة التي تؤذي الإنسان، كالأوبئة والأمراض والتلوث وغيرها، والذي يسببه الزيادة السكانية.

على النقيض من هذا الاتجاه، يرى بعض المفكرين أن الزيادة السكانية لم تؤذي البيئة، بل بالعكس أنها نافعة ومن مصلحة العالم أن يزداد السكان، وأن ما يقال عن قطع الغابات مثلاً نتيجة للزيادة السكانية هو محض افتراء، فما زالت الغابات تغطي ثلث مساحة الأرض، وليست هناك إحصائيات دقيقة عن ازدياد حرارة الأرض أو انقراض الأنواع الحية أو تأثير طبقة الأوزون، لكن لا يعني هذا عدم وجود ازدحام في بعض المناطق المكتظة بالسكان، فالازدحام موجود في أماكن محددة من العالم، لكنه لم يكن مشكلة عالمية.

ثم إن الاكتظاظ بالسكان لم يكن سببه نقص في المساحات الفارغة من الأرض بل إن الناس تريد العيش مع بعضها الآخر لتبيع وتشتري وتعطي أو تأخذ الخدمات التي تحتاج إليها من الآخرين، وإن اتساع رقعة المدن يجعل الناس يشعرون باختلال التوازن بين سكان الريف والمدينة ويخشون بأن غذائهم سينفذ لأن قلة المزارعين لا تستطيع أن تلبي حاجة هذا الكم من البشر الذي يعيش في المدينة، ويتناسى هؤلاء استخدام أحدث التقنيات من قبل المزارعين الذي يستطيعون توفير الغذاء للناس. ويعتقد أصحاب هذا الاتجاه بغض النظر عن عدد السكان في العالم المعاصر بأن البيئة قادرة على تلبية احتاجاتهم.[11]

لذا نجد بعض الباحثين في البيئة عندما يلخصون المشكلات البيئية المعاصرة وفقاً لتقييم البيئة فإنهم لم يذكروا الانفجار السكاني كمشكلة بيئية معاصرة، بل يحددوها على النحو التالي: ظاهرة الاحتباس الحراري، الأمطار الحمضية، التصحر، انقراض الأنواع، التنوع البيولوجي، المصادر الثقافية، مخاطر البيئة الطبيعية.[12]

المسؤولية الأخلاقية اتجاه المشكلات البيئية المعاصرة

يمكن النظر إلى المسؤولية الأخلاقية للمشكلات البيئية المعاصرة وفقاً لتقسيم المشكلات البيئية على قسمين أساسين هما:

- العوامل الطبيعية كالفيضانات والتصحر والجفاف والكوارث الطبيعية المتمثلة بالزلازل والهزات الأرضية والبراكين والرياح، حيث أنّ جميعها تلقي مسؤوليات معينة على المجتمع، وينتج من هذه المسؤولية الأخلاق البيئية.

مركز الاحتواء الاجتماعي للاستشارات
Social Containment Consulting Center

- الأنشطة الإنسانية والمتمثلة في قطع الأشجار وتقليص كمية الغابات، وانقراض الأنواع البيولوجية، والحروب بكافة أشكالها وأسلحتها الكيميائية والنووية، وعدم مراعاة قواعد البيئة عند إنشاء المصانع، كل هذه الأنشطة وغيرها من عمل الإنسان، وهو المسؤول عنها أخلاقياً.

ويعد السلوك غير الأخلاقي الصادر من أبناء الجنس البشري من أشدّ أشكال التلوث الذي يؤذي البيئة ويدمرها، وأغلب أنواع هذا التلوث لا يشعر به الكثيرون، لكنه مؤذي وضار للبيئة، ومن أمثلة هذا التلوث، تدني الأذواق، اللا مبالاة، عدم الانتماء، فساد الذمم.

ولا يشعر الناس بهذا الخلل الذي تسببه هذه السلوكيات اللاأخلاقية إلا بعد أن تحدث الكوارث والمأسي، وينبه الكتاب والمفكرين لهذه الأخطار بين الحين والآخر، ومن بين ما نشرته صحيفة إندبندنت مقالة للكاتب Lloyd Timberlake بعنوان التهديد الخطير للأرض، يصف الكاتب فيها بأن الكارثة البيئية سوف تحل محل الحرب النووية والتي ستكون الخطر الأكبر الذي يواجهه العالم في القرن الواحد والعشرين.[13]

ومن بين أشهر الحجج الأخلاقية التي تستخدم للدفاع عن البيئة، وبالأخص تلك المتعلقة بتدمير الغابات المطرية، هي أنه ربما واحدة من أشجار هذه الغابات أو الحيوانات البرية التي تعيش فيها تحمل علاج للأمراض المستعصية التي يعاني منها الناس كالسرطان والأيدز، فلماذا نقطعها أو ندمرها فلنتركها للزمن وربما العلماء سيكتشفوا علاج هذه الأمراض في هذه الغابات المطرية. وسيكون الهدف الأخلاقي من هذه الحجة هو إنقاذ المرضى.

أما الحجة الأخرى فإنها قائمة على نظرية التوازن الطبيعي والتي مفادها أن هناك حرب معلنة الآن ضد أي أنشطة تدمر الغلاف الجوي وبالأخص طبقة الأوزون، هذه الحرب سببها أن الإنسانية تهدف إلى تحقيق الرفاهية الاجتماعية، لكن هذه الرفاهية مهددة نتيجة ازدياد الانبعاث الحراري الذي تسببه الأنشطة الإنسانية والتي تصنف أخلاق الحفاظ على البيئة في المرتبة الثانية بعد إنجاز حاجات

SCR LONDON
تحت شعار البحث العلمي ركيزة التنمية المستدامة في العصر الرقمي
Social Consultancy & Research London

الناس، فالحجة الأخلاقية هنا تقوم على أن الحفاظ على البيئة ينطلق من كونها البيئة الحياتية لكل الكائنات دون استثناء.[14]

ويمكن القول بأن مسألة التوازن الطبيعي تعني أن لكل كائن موقع ودور في البيئة التي يعيش فيها وأن القضاء على أيّ من الكائنات الحية يعني اختلال في التوازن الطبيعي.

وتعد المعالجة الدينية من أفضل المعالجات للتلوث الأخلاقي، ففي الإسلام العديد من الأمثلة التي ترشد الناس على تجنب التلوث الأخلاقي، اذ أن كل أشكال الواجبات الدينية، كالصوم، والصلاة، والحج، لا تعني فقط الممارسات الظاهرية البدنية لمثل هذه العبادات بل إنها في حقيقة الأمر تعني تهذيب النفس الإنسانية وتخليصها من الشوائب التي تلحق بها من جراء الانغماس بالحياة المادية ومن بين هذه الشوائب تلوث المكان الذي نحيا فيه، فلا بد من الاعتناء به ونحترمه ونجله ونحافظ عليه، هذا يعني أن الحفاظ على البيئة هي جزء من العبادة.

وهناك العديد من الآيات والأحاديث النبوية التي تؤكد على ما نقول، منها قوله تعالى ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[15] وكذلك حرم الله قطع الأشجار في موسم الحج، وفي حديث للرسول الكريم محمد ﷺ (إذا قامت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها)[16]، تعني استدامة العمل والحفاظ على البيئة. وكذلك من الأحاديث التي تدعو إلى إحياء المحيط الحيوي وتنميته (ما من مسلم يغرس غرساً ويزرع زرعاً فيأكل منه طير أو بهيمة أو إنسان إلا كان له به صدقة).

فضلاً عن ذلك فإن هناك ارتباط حقيقي بين الإنسان والأرض، ويتمثل هذا الارتباط بأن الإنسان خلق من طين، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾[17] فمنها خلق وإليها يعود ومنها يبعث ثانية، وقد ورد ذكر الأرض في القرآن الكريم (461) مرة[18]، يعني هذا عِظَم الأرض وأهميتها بالنسبة للإنسان والكائنات الأخرى.

أما الماء فهو يمثل العنصر الآخر من بين العناصر المهمة في الطبيعة، وهو بمثابة هبة من الله لكل الكائنات الحية وغير الحية، ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ

مركز الاحتواء الاجتماعي للاستشارات
Social Containment Consulting Center

وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُون﴾[19]، وقد تكرر ذكر الماء في القرآن الكريم (63) مرة دلالة على أهمية الماء في الحياة، إذ أن الأرض تبدو ميتة بدون الماء ولكن سرعان ما تبعث فيها الحياة بعد تغذيتها بالماء وتصبح صالحة لتغذية الكائنات الحية، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾[20].

إنّ الهبة الإلهية الأخرى هي الهواء، والذي هو العنصر الحر لكل الكائنات الحية التي لا يمكن أن تعيش بدونه، ولم تقتصر فائدة الهواء على التنفس فقط بل يسخّره الله كرحمة للناس لنقل الغيوم من مكان إلى آخر للمساعدة على إرواء الزراعة وإحياء الأرض الميتة ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[21]، ولا يستطيع أحد أن يتناسى أهمية الهواء للحياة أو للوظائف الاجتماعية، وإن كان هو هكذا، فهل يحق لنا أن نلوثه؟ أو أن جزء من واجبنا الديني والأخلاقي هو الحفاظ عليه نقياً صافياً بعيداً عن التلوث.

القيم البيئية العالمية

إنّ عالم اليوم هو عالم معقد ومتشابك الصلات والروابط، وقد وصف هذا العالم بأوصاف متعددة فمرّة يسمونه بالقرية العالمية الواحدة، والتي هي نتيجة لإفرازات العولمة، ومرة أخرى يسمونه بعالم التكنولوجيا أو عالم الفضاء أو عالم الإنترنت، وما إلى ذلك من مسميات أفرزتها العلاقات الاجتماعية المعاصرة.

وقد أفرز هذا التشابك قيم عالمية مشتركة بين أبناء البشر، من بينها العدل والحرية والمساواة والاحترام والرعاية والأمانة والتعاون الدولي، والحاجة إلى طرائق عالمية متكاملة لمواجهة مشكلات البيئة.

إنّ هذه القيم تحوّل عالمنا المعاصر إلى عالم أخلاقي يرتبط فيه الناس بما هو أكثر من روابط الجوار أو المصلحة أو الهُويّة، وجميع هذه القيم ترتبط بالتعاليم الدينية السماوية في جميع أنحاء العالم والتي تقضي بأن يتعامل الناس مع الآخرين على النحو الذي يرغبون في أن يتعاملوا به.

SCR LONDON
تحت شعار البحث العلمي ركيزة التنمية المستدامة في العصر الرقمي
Social Consultancy & Research London

وقد تجسدت هذه القيم في ميثاق الأمم المتحدة الذي يدعوا إلى الاعتراف بالكرامة المتأصلة لكافة أعضاء الأسرة الإنسانية وحقوقهم المتساوية غير المنقوصة في الأمن والأمان البيئي.

وعلى صعيد البيئة يدعو أغلب المفكرين العالميين على ضرورة تدخل السياسة البيئية في كل مجالات التنمية سواء الثقافية أو الاقتصادية أو التربوية أو في المجالات الأخرى التي تلعب دوراً مهماً في تغيير المجتمع الإنساني.

فتدّخل السياسة البيئية مثلاً في الثقافة يعني أننا لا بد أن نقبل الآخر، أما في الاقتصاد فيعني تنظيم الموارد الطبيعية واستغلالها بالشكل الأمثل، ولا بد أيضاً أن تكون السياسة البيئية فاعلة في سياسة التصنيع، وضبط القطاع الحيوي، وتخفيف من إنتاج النفايات السامة التي تدمر الإنسان والبيئة، أما تدخل السياسة البيئية في القطاعات الإنسانية الأخرى فلا بد أن يبنى على التقدم الذي وصلت إليه الإنسانية خاصة في المجال التربوي لأنه يمثل ثقافة الشعوب الإنسانية برمتها.[22]

الاستنتاجات

1. يمكن القول بان الأخلاق البيئية مازالت تحبو في العالم الثالث لكنها واضحة المعالم في الدول المتقدمة ولها اهدافها ومؤسساتها وتوجهاتها.
2. لكي تكون بيئيا عليك ان تؤمن بمبادئ اخلاقية عن الكون والوجود، وماهو دور الإنسان ككائن من بين الكائنات الطبيعية الأخرى، وماهي طبيعة السلوك الذي تسلكه اتجاه البيئة.
3. تكمن الأسباب الرئيسة في مشكلات البيئة في نقص المعرفة عن البيئة، والإستغلال غير الرشيد للتكنولوجيا في البيئة، واختلال القيم، واختلال البيئة الإجتماعية.
4. اعتقد بان المكون الأول للأخلاق البيئية لابد ان ينطلق من مقولة وحدة الوجود والمصير، وتصبح عملية الدفاع عن الحياة كقيمة عليا هي من اهم اهداف فلسفة البيئة، اذ ان ما يحدث من حوادث على صعيد الواقع يثبت وحدة الوجود بين كل عناصر البيئة، الإنسان والحيوان والنبات والجماد.ويصبح مفهوم

مركز الاحتواء الاجتماعي للاستشارات
Social Containment Consulting Center

التوازن والإنسجام مع الطبيعة مفهوما مقبولا اخلاقيا اكثر من مفهوم السيطرة على الطبيعة او الإنسان في مواجهة الطبيعة.

5. تشجع الاخلاق البيئية تطور وتقدم التكنولوجيا لكنها ترفض ان تصبح التكنولوجيا اداة للسيطرة والإستغلال.
6. تنادي الأخلاق البيئية بان يكون الإنسان اكثر حكمة وتواضعا وعلى الإنسان ان يسعى لحب الحكمة وليس امتلالكها لكي يجعلها كالقوة بين يديه ليستغل الأخرين عبرها.
7. الأخلاق البيئية لا تلغي التقدم الذي حصل على مستوى الإنسانية بل انها تنظر إلى مفهوم التقدم ضمن محدودية الموارد الطبيعية نظرة جديدة تأخذ بنظر الإعتبار الكيفية التي من الممكن الحفاظ بها على استمرارية وديمومة هذه الموارد البيئية.
8. الأخلاق البيئية تؤكد على النزعة الإنسانية التي تاخذ بنظر الإعتبار حقوق الأجيال القادمة في الموارد الطبيعية.
9. مشكلات البيئة نشات بفعل سوء تفاعل الإنسان مع الطبيعة عبر مختلف انشطته النظرية والعملية، فضلا عن المشكلات التي تنشأ بفعل الطبيعة كالفيضانات والبراكين والزلازل والعواصف.
10. لابد من التذكير دائما باليوم العربي للبيئة الذي يصادف 14 اكتوبر من كل عام وكذلك يوم البيئة العالمي المصادف 5 حزيران من كل عام. واستغلال هذه المناسبات لمراجعة انفسنا ومعرفة ما نحن عليه، فمراجعة الذات هي من افضل اللحظات التي يمر بها الانسان، تعني اجراء تقييم لانفسنا واعمالنا.
11. لا بد من إدخال البعد البيئي لمناهجنا التعليمية وجعل المعرفة البيئية جزء من النظم التعليمية وعلى مختلف المستويات. ومن أبسط الأمثلة على فائدة المعرفة البيئية، الطلبة في اليابان هم الذين ينظفون صفوفهم، فماذا تتوقع من تلميذ ينظف مكان تعليمه، هل هذا التلميذ يؤذي البيئة، وفي نفس الوقت المهندس الذي يمتلك معرفة بيئية يأخذ بنظر الاعتبار آثار المشروع الذي يصممه على البيئة مستقبلاً ، أي أنه لا يؤذي البيئة في تصاميمه.

SCR LONDON
تحت شعار البحث العلمي ركيزة التنمية المستدامة في العصر الرقمي
Social Consultancy & Research London

12. هناك صراع بين البيئة والاقتصاد ويمكن تشبيه هذا الصراع على النحو التالي:

- Ecology's uneconomic,
- But with another kind of logic.
- Economy's unecologic.

بمعنى علم البيئة غير اقتصادي، كما أن علم الاقتصاد غير بيئي، ويمكن أن نضع أيضاً الغرض من التطوير الاقتصادي وفقاً للمقولة التالية:

- Effort to improve the income of the man,
- Effort to improve his living conditions.

لكن للأسف الشديد تحاول الحكومات جاهدة لتطوير دخل الفرد ولكنها لا تطور شروط معيشته التي هي البيئة التي يحيا فيها الإنسان.[23]

مركز الاحتواء الاجتماعي للاستشارات
Social Containment Consulting Center

الهوامش

1) Plato's Laws (2013) Force and Truth in Political, Edited by Gregory Recco and Eric Sanday, Bloomington Ind, Indiana University Press, Electronic book.

2) Aristotle (2001) Physics, translated into English by R.P. Hardie and R. K. Gaye, Blacksbu Rg, VA, Virginia Tech, Electronics book.

وهناك ترجمة عربية قديمة لكتاب الطبيعة، ترجمة اسحق بن حنين مع شروح ابن السمح وابن عدي ومتى بن يونس وأبي الفرج ابن الطيب، تحقيق عبد الرحمن بدوي، بجزئين، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965.

3) معلوف، حبيب، على الحافة، **مدخل إلى الفلسفة البيئية**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2002، ص 98.

4) لمزيد من التفاصيل انظر: رشوان، حسين عبد الحميد، **البيئة والمجتمع**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2006، ص 7–14.

5) أبو زهرة، **البيئة وفلسفة الجمال**، الإسكندرية، مكتبة الإسكندرية، 2006، ص 12.

6) المصدر السابق، ص 57.

7) لمزيد من التفاصيل انظر، رشوان، حسين، **البيئة والمجتمع**، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، 2006، ص 87–94.

8) طاحون، زكريا، **أخلاقيات البيئة وحماقات الحروب**، القاهرة، جمعية المكتب العربي للبحوث والبيئة، ط1، 2002، ص 272.

9) Directory of Pollution Control Equipment Companies in Western Europe(1990), Association of British Directory Publishers, London

10) Marowski, G Daiel, Editor (1992) Environmental Viewpoints, Selected Essays and Excerpts on Issues in Environmental Protection, Lazzari Marie and others, Gale Research, US, P307.

11) Ibid p 327-328.

12) لمزيد من التفاصيل انظر:

Jain. R.K and others (2001) Environmental Assessment, McGraw-Hill, United States, P 327-406.

13) Johnsion. R.J (1991) Environmental Problems, Nature, Economy and State, Belhaven Press, London, P1.

14) Burke,G and others (2005) Handbook of Environmental Management and Technology, Wiley Interscience Publication, Canada, p753-756.

15) القرآن الكريم، سورة البقرة (الآية: 60).

16) البخاري، الأدب المفرد.

SCR LONDON
تحت شعار البحث العلمي ركيزة التنمية المستدامة في العصر الرقمي
Social Consultancy & Research London